الصورة الإخبارية ودورها في تشكيل الوعي السياسي
دراسة حالة

أ . د. مهدى محمد القصاص
أستاذ علم الاجتماع المساعد
كلية الآداب – جامعة المنصورة
مصر

فكرة البحث وهدفه :

إن المجتمع المصري – شأنه شأن المجتمعات المعاصرة – يتعرض لتغيرات اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية متتالية نتيجة عوامل متعددة من بينها : التقدم العلمي والتكنولوجي، وثورة المعلومات والاتصالات وغيرها وبالطبع ستزداد تلك التغيرات فالحدث يجري في أي مكان من الكرة الأرضية ونعايشه ونتفاعل معه لحظة بلحظة بالصوت والصورة الحيه المباشرة لذا فنحن نعيش الآن في عالم تتخلله الصور بشكل خاطف وسريع وتهيمن عليه ؛ حيث تملأ الصور الصحف والمجلات والكتب والملابس ولوحات الإعلانات وشاشات التليفزيون والكمبيوتر والإنترنت والتليفونات المحمولة (النقالة) بشكل لم يحدث من قبل في تاريخ البشرية عامة .

لقد أصبح المجتمع الإنساني مجتمعا تقوم الصور بالوساطة خلاله في الأنشطة الإنسانية كافة . وقد حذر بعض المفكرين من مثل هذا الطغيان للصور علي ثقافة الإنسان ، إلي درجة أنهم قالوا إن التليفزيون سيحل محل الكلمات فيكون هو العامل الأساسي في التخاطب الاجتماعي ، وإن دور الكلمات سيكون مقتصرا علي المخاطبات المكتبية ، وعلى طباعة الكتب التي سيصبح قراؤها محدودي العدد بدرجة كبيرة ، وإن القراءة ستتراجع لمصلحة المشاهدة.

ويعد التليفزيون اقوي وسائل الإعلام التي ظهرت في القرن العشرين ، والتي تعتمد علي الصوت والصورة والحركة واللون في صورة أقرب للواقع ، وتشير الدراسات والبحوث إلي ان التليفزيون يعتبر أحسن وسيلة إعلامية لنقل الأخبار ، فله دور لا مثيل له في تقديم المادة الإخبارية التي تتمتع بجاذبية فائقة دون وسائل الإعلام الأخري ويتميز التليفزيون كجهاز إخباري بأنه يقدم لنا الأحداث في مشاهد متكاملة تعتمد علي الصوت والصورة والحركة واللون .

وتتميز وسائل الإعلام بإمكانية استخدامها بطرق مختلفة ، ليس فقط باختلاف مناطق العالم ولكن أيضا باختلاف نوعيات وطبائع البشر الذين تخاطبهم هذه الوسائل واعتمادا علي هذه النظرية ظلت وسائل الإعلام تمارس نشاطها لكي تحقق أهدافها لسنوات طويلة ، ثم جاءت

حرب الخليج لكي تضيف أبعادا جديدة لأساليب استخدام وسائل الإعلام بحيث تتكامل هذه الوسائل مع الأدوات الأخرى التي تسهم إسهاما فعالا في انجاز الهدف الاستراتيجي .

ويهدف البحث إلي التعرف علي أهمية الصورة الإخبارية وطريقة إخراجها التليفزيوني ودورها في تشكيل الوعي لدي المشاهد وسنركز علي شريحة الشباب لأنهم الأكثر تعرضا لوسائل الإعلام والأكثر قدرة علي تقبل الجديد .

ويتمثل السؤال الرئيسي فى

ما الدور الذي تلعبه الصورة الإخبارية في تشكيل الوعي السياسي ؟

وتأتى الإجابة علي هذا التساؤل من خلال عرض للإطار النظرى للبحث ودراسات الحاله الميدانية لعدد من طلاب الفرقة الرابعة بقسم الاجتماع – كلية الآداب – جامعة المنصورة.

وسيتم التحليل بالاستناد إلى مدخل Ronald Barthes السيميولوجى ، والسيميولوجيا – فى مضمونها – هى نظرية للإعلام والمؤشرات الأخرى للمعنى الثقافى . فهى – فى الأساس – نظرية لكيفية اشتقاق النتاجات والموضوعات والصور والنصوص لمعانيها . ومن أهم نقاط القوة التى تميز هذا المدخل أنه يقدم طريقة منهجية مباشرة وصريحة لتشفير الصور والموضوعات والكلمات التى تظهر فى الإعلام وكذلك استخدامه للمادة اللغوية فعلى سبيل المثال : ينظر لمعانى العلامات الثقافية كالصور الاعلامية على أنها نتاج طبيعى للمشاهدين وأنها تتبدى كقناعات اجتماعية وبنى مرجعية يتم تنظيمها فى معظم الأحوال من قبل طبقة واحدة – البرجوازية – حتى يتسنى لنا الهيمنة على الطبقات الأخرى[1] .

وفيما يلى نعرض لمحاور البحث :

أولا - أهمية الصور وفاعليتها

ظهرت المرايا فى الماضى باعتبارها مصدرا للصور . فالمرآة تقوم دائما بعرض انعكاساتنا وصورنا . وبالرغم من اعتماد البشرية على المرايا فى مختلف فترات تطورها ، فإن هناك صور تقوم بعملية العكس بشكل أكثر عقلانية والخبرات الخاصة بنا وبمجتمعنا . وتلك الصور ليست كالصور المعتادة ، فهى ليست نتاج النشاطات الاجتماعية بل هى الكلمات. فالكلمات ليست مجرد وسيلة تواصل لكنها أيضا صور . فالكلمات تعكس بشكل دقيق حالة

وعينا وصحة وعينا وتفكيرنا والكلمات التى تستخدم فى الإعلام والمصطلحات التى نهمس بها ونستمع إليها تعكس هى الأخرى حالة المجتمع العقلانية[٢] .

والحياة المعاصرة لا يمكن تصورها من دون الصور ؛ فالصور موجودة في كل مكـــان ؛ إنها لا تكف عن التدفق والحضور في كل لحظة من لحظات حياتنا . إننا نعيش بالفعل فـــي " عصر الصورة " كما قال آبل جانس ، ونعيش في حضارة الصورة كما قال الناقد الفرنـــسي " رولان بارت " بعد ذلك .

والصورة لم تعد تساوي ألف كلمة – كما جاء في القول الصيني المأثور – بـــل صـــارت بمليون كلمة ، وربما أكثر . لقد أصبحت الصور مرتبطة الآن علي نحو لم يسبق له مثيـــل ، بكل جوانب حياة الإنسان ، ولعبت الميديا ، خاصة التليفزيون والسينما والإنترنـــت وفنـــون الإعلان والإعلام بشكل عام دوراً أساسيا في تشكيل وعي الإنسان المعاصر بأشكال إيجابيـــة حينا ، وأشكال سلبية حينا آخر . فهناك حضور جارف للصور في حياة الإنسان الحـــديث ؛ إنها حاضرة فى التربية والتعليم ، وفي الأسواق والشوارع ، وعبر وسائل الإعلام [٣] .

كما تحظي السينما – كوسيلة اتصال جماهيرية – بقدرة هائلة علي التأثير فـــي الجمهـــور المتلقي لها ، وينبع هذا التأثير من الطبيعة الخاصة بالسينما باعتبارها تجمـــع بـــين الوعـــاء المعرفي والثقافي والشكل الفني التعبيري ، بالإضافة إلي تسخيرها لأحدث وسائل تكنولوجيـــا العصر في صياغة هذا المحتوى بأسلوب يحقق جذب انتباه المشاهد ، والتوغل إلي وجدانـــه وعقله . ومن هنا ، فإن السينما تمتلك عناصر تأثير متكاملة تعتمد علـــي الكلمـــة والـــصورة والحركة والعناصر الجمالية المختلفة ، بالإضافة إلي كونها وسيلة تعبير غير مباشـــرة تنقـــل فكراً ما بصورة يقبل عليها المشاهد ويتأثر بها .

ويمكن القول إن نتاج الوسائل الإعلامية والثقافة – ومنها السينما– يشكل جانبا هاما مـــن التراث الفكري والإنساني ، وتفيد قراءة هذا التراث في بلورة العديد من المفـــاهيم والقـــضايا الاجتماعية ، فهو يقدم جانبا هاما من الفكر والمعرفة ، نعتبره الأقدر علـــي تجـــسيد الواقـــع الاجتماعي في صورة حية ، وبمفردات لغوية تحمل في طياتها عناصر التـــأثير والإبهـــار ، واللون والحركة ، والصوت والإيقاع والأشكال ، وهي كلها من أهم أدوات التأثير التي يمكن عن طريقها تأكيد المعاني والأفكار[٤] ويذكر ميتشل أن كلمة أيديولوجيا تمتد جذورها داخـــل

مفهوم الصورة والتفكير بالصورة . وقد جاءت كلمة أيديولوجيا ideology ، من كلمة فكرة idea التي جاءت من الفعل يري see to في اللغة الإغريقية وهو فعل كثيراً ما كان يتم ربطه بالفكرة العامة حول الصنم eidolon أو الصورة المرئية visible image والتى هي فكرة جوهرية في البصريات ونظريات الإدراك .

ويضيف شابيرو إلي أفكار ميتشل هنا قوله إن كلمة فكرة idea ترتبط كذلك بكلمة idolum اللاتينية ، وهي كلمة تعني : صورة بلا مادة وهي مشتقة كذلك من الجذر اليوناني القديم eidolon الذي يعني الشكل form أو المظهر الخارجي shape . وهكذا تكون الأفكار هي تشكيلات عقلية لمجموعة متفرقة نوعاً من الصور التي تكون موجودة في عقل الفرد وعند مستوي نشاطه العقلي الايقوني أو المتعلق بالتفكير بالصورة ، هكذا ترتبط الايديولوجيا بشكل أو بآخر بالصور والتفكير من خلالها ، كما يؤكد شابيرو دائماً [٥].

والصوت والصورة عاملان هامان وحيويان يلعبان دورا في حياة الأفراد اليومية والعادية ويتصلان بالانفعالات المختلفة لكل فرد مادام يستطع السمع والإبصار والصورة من أحسن الوسائل المقنعة ، فهي لغة عالمية تفهمها كل الشعوب ، فإذا اقترن الخبر الإذاعي برؤيته علي الشاشة الصغيرة مصورا في موقعه فان ذلك أدعي إلي تصديقه ، ويؤكد الباحثون علي أهمية الصورة المتحركة بالنسبة للتليفزيون فهو وسيلة مرئية في المقام الأول ، وأفضل قيمة إخبارية قائمة علي هذه الحقيقة . ونعلم أن الرؤية أساس الاقتناع Seeing is believing [٦] .

كما أن هناك فروق يقول بها العلماء والمفكرون ، بطبيعة الحال ، بين الصور الإدراكية والصور العقلية ؛ صور الخارج وصور الداخل ، علي رغم ما بينهما من تفاعل مستمر . ولعل أبرز هذه الفروق هو أن التفكير بالصور يتجاوز حدود الواقع المدرك اللحظي المباشر ، فهو يمكن المرء من استدعاء الماضي ومعايشته كما لو كان يحدث مرة أخري ، من خلال استعراض الصور والأفلام التى ترتبط به ، كما يمكنه من أن يفكر في المستقبل وتصوره وأن ينشط خياله ويطوره . هكذا يتحرك المرء من خلال الصور عبر إطار زماني ممتد ومنفتح ، كما يمكنه أن يتحرر كذلك من القيود المكانية وأن يفكر ويتفاعل مع أشخاص يوجدون في أماكن بعيدة ، كما لو كانوا موجودين أمام عينيه الآن ، إنه هكذا يتجاهل أو بالأحرى ، يتجاوز العوائق الطبيعية الموجودة كالمباني والحوائط والغابات والبحار والجبال ... إلخ . إن الصور

ترتبط بالذاكرة والخيال والإبداع والاستمتاع أيضا ، لكن عالم الصورة له أيضا جوانبه السلبية التي قد ترتبط ، مثلا بتحويل الإنسان إلي كائن سلبي مستقل لما يقدم له أيا ما كان عليه من دقة أو تزييف ، ومن ثم يتحول إلي كائن مستهلك للصور وما ترتبط به هذه الصور من عوالم خاصة بالدعاية والإعلان والترويج للسلع .

كذلك يتحدث الباحثون في " علم الصورة " الآن عن حالات الإدمان للصور وجرائم الصور والهروب من المعرفة واعتياد الصور والتأثير السلبي لعالم الصورة في القراءة والثقافة العميقة (٧) .

وتشير نتائج دراسة قام بها "Insight Research Group" إلى أن الآباء الأمريكيون يشعرون بالقلق حيال الوقت الطويل الذى يقضيه أطفالهم فى مشاهدة التليفزيون أو لقاء الأصدقاء على الشبكات الاجتماعية على النت (شبكات الدردشة) أكثر من قلقهم من الجنس وتعاطى المخدرات ، حيث تم إجراء مسح على ١١٣٨ مواطن أمريكى وذكرت نسبة ٥٧% انزعاجهم بمسألة قضاء أطفالهم الكثير من الوقت فى متابعة مختلف وسائل الإعلام . وبالمقارنة فقد قال ٤٥% أنهم قلقين أكثر من انخراط أطفالهم فى ممارسة الجنس أو تناول الكحوليات .

وينظر الآباء لأنفسهم باعتبارهم متحملين للمسئولية الأكبر عن طريقة وشكل تأثير الوسائط الاعلامية على أطفالهم . هذا وقد احتلت مشاهدة التليفزيون قمة الوسائل الاعلامية التى تقلق الآباء يليها الانترنت ، واستخدام ولعب ألعاب الفيديو . أما الاستماع للراديو وقراءة المجلات فقد اعتبرت الأكثر أمنا للأطفال كما يرى الآباء (٨) .

لكن عصر الصورة هذا كانت له آثاره السلبية أيضا ؛ تلك التي رصدها مفكرون معاصرون ، فتحدثوا عن توجيه الصورة لتزييف الوعي وإخفاء الحقيقة وأيضا الإعلاء من قيمة السطحي والمؤقت والعابر من الأمور عل حساب الحقيقى والجوهري والثابت ومن هؤلاء المفكرين " بيير بورديو " الذي تحدث عن تلك الندوات التليفزيونية التي تبدو حرة ، وهي ليست كذلك ، حيث تدخل عمليات الرقابة المنظمة ومصادره حق الكلام . كما أنه تحدث أيضا عما يحدث من زيادة المنافسة بين قنوات التليفزيون والمصورين الصحفيين سعيا وراء السبق الإعلامي وأحيانا علي حساب القيم والأخلاق .

ويرتبط التفكير بالصورة بما يسمي التفكير البصري ، وهو كما يعرفه "أرنهايم" محاولة لفهم العالم من خلال لغة الشكل والصورة والتفكير بالصورة يرتبط بالخيال والخيال يرتبط بالإبداع والإبداع يرتبط بالمستقبل والمستقبل ضروري لنمو الأمم والجماعات والأفراد وهذا ضروري لخروجهم من أسر الواقع الإدراكي الضيق المحدود ، إلي آفاق المستقبل الرحبة الأكثر حرية والأكثر إنسانية .

أما الصورة في العالم العربي " فما زالت تعاني الضعف والوهن ، كما أشار "فريد الزاهى" ، نظرا إلي هيمنة اللغوي علي البصري في حقل الثقافة العربية المعاصرة ، وللتعقد المنهجي الذي تفرضه مقاربات الصورة بمختلف أنواعها وأنماطها " [٩] .

كما أن هناك قضايا استحوذت كل جانب كبير من الأهمية والمتمثلة في الصور التي تعكسها لشخصيات من فئات اجتماعية معينة . فكثيرا ما تنتقد الدراما التليفزيونية علي أنها تتضمن مشاهد تعكس صورة ذهنية سلبية عن المرأة ، أو عن مهنة معينة أو المعاق أو كبار السن وغيرهم . وهناك اتجاه ينتقد الدراما التي تُظهر شخصيات بصورة غير مقبولة ، ويطالب بإقرار أسس أخلاقية تلتزم بها الأعمال الدرامية [١٠] .

وتشير نتائج إحدى الدراسات إلى أن التليفزيون صار يشغل المزيد والمزيد من وقت الأمريكيين أكثر مما يقضونه فى أى تفاعلات اجتماعية أخرى وقد شغل هذا الأمر باهتمام شديد العلماء السلوكيين وتوصلوا إلى أن الكثير من الأمراض الاجتماعية بدءا بمحاكاة العنف وصولا إلى تعلم التطرف والجريمة يرجع إلى التليفزيون وبرامجه المختلفة واستطاعوا تحديد ١٠٤٣ تأثير مناهض للمجتمع للتليفزيون على السلوكيات الاجتماعية [١١] .

من هذا المنطلق ، نقف على الأهمية – التى صارت تفرض نفسها – للوسائط الاعلامية بمختلف أشكالها فى تربية النشئ . فالصورة الاعلامية تحيط بالتلميذ فى البيت والمدرسة وحتى فى الشارع ولذلك فلابد من تقنين تلك الوسائط حتى يتحقق عنها الهدف المنشود . وفى ظل هذا الطرح ؛ نجد أنواع وأشكال كثيرة من الوسائط الاعلامية التى يمكن استخدامها ومنها : الكلمة المطبوعة ، البصريات ، المواد السمعية ، الفيديو ، المحاكاة ، الوسائط الاعلامية المتعددة ، الوسائط الاعلامية التفاعلية [١٢] .

ويقوم علماء الاجتماع والباحثون بإجراء تجارب بالغة الصعوبة في تعقدها ومهارتها لتقرير ما إذا كانت مشاهدة برامج العنف تجعل سلوك الأطفال أكثر عدوانية ، أم أن مشاهدة البرامج النموذجية ، علي العكس ، تشجع السلوك " الاجتماعي الإيجابى " للأطفال . وتجري دراسات لمعرفة ما إذا كانت إعلانات التليفزيون تهيئ الأطفال لأن يكونوا طماعين وماديين ، أم كرماء وروحانيين ، كما ذكر البعض ، ويسعي الباحثون لاكتشاف ما إذا كانت الأنماط التلفزيونية الثابتة تؤثر في طرق تفكير الأطفال ، بحيث تدفعهم نحو التحيز ، أو سعة الأفق ، أو غير ذلك .

إن جوهر التجربة التليفزيونية ذاته ، بصرف النظر عن مضامين البرامج ، نادرا ما يؤخذ بعين الاعتبار . وربما يعزز حشد المشاهد والأصوات المتغيرة باستمرار والصادرة عن الجهاز – أي التنوع العاصف للصور المعروضة أمام العين ووابل الأصوات البشرية وغير البشرية الذي يصل إلي الأذن – الوهم الزائف لدي المشاهد بأنه أمام تجربة متغيرة . فمن السهل إغفال حقيقة بسيطة بطريقة مضللة حيث يشاهد المرء التليفزيون باستمرار حين يفضل مشاهدته علي أي تجربة أخري . سواء أكان البرنامج الذي تشاهده هو Sesame street أو Batman أو Reading Rainbow أو Dragnet ، فإن ثمة تشابها في تجربة المشاهدة التليفزيونية كلها . ذلك أن آليات فسيولوجية معينة في العينين ، والأذنين ، والدماغ تستجيب للمثيرات المنبعثة من شاشة التليفزيون بصرف النظر عن المضمون المعرفي للبرامج . إنه عمل ذوا اتجاه واحد يستلزم تلقي مادة حسية خاصة بطريقة معينة ، مهما كانت تلك المادة[١٣].

ثانيا : الصورة وتشكيل الوعي .

إذا نظرنا لمفهوم الوعي من الناحية اللغوية ، نجده في العديد من الاستخدامات اليومية يحمل أحد معنيين إما مدركا aware أو انتبه إلي paid attention to فلو قلت " إني كنت واعيا للجو غر المريح في اللقاء " فإن ذلك يعني أني كنت " مدركا للجو غر المريح " أما إن قلت " لقد وعيت فجأة لهذا الصوت الغريب " فإن ذلك يعني " إني انتبهت فجأة لهذا الصوت الغريب " وتستخدم تلك الكلمات للتعبير عن علاقة تربط بين الشخص والموضوع المقصود وعلي هذا فإن مفهوم الوعي قد يشير إلي كون الفرد مدركا أو قد أدرك علي الفور طبيعة

الموقف الحالي . لكنها قد تشير كذلك إلي حالة وعي الفرد بالأمر " بالمدركات والمفاهيم " التي تجمع الأمر وترسخ في ذهنه بشكل ثابت الآن وفيما بعد وليس قصرا علي الموقف الراهن [١٤] .

ونحن كبشر لا نستشعر فقط الحالات المتكاملة من الوعي الأولي primary consciousness ، بل إننا كذلك نفكر ونتأمل التواصل عبر اللغة الرمزية ونضع أحكام قيمة ولنا معتقدات نتمسك بها ونعمل بشكل مقصود في ظل الإدراك الذاتي وخبره الحرية الشخصية .

ولابد لأي نظرية مستقبلية عن الوعي أن توضح كيف أن تلك السمات المعروفة جيدا للعقل البشري ستظهر من خلال العمليات المعرفية المألوفة لكل الكائنات الحية وقد بدأ " العالم الداخلي " لوعينا التأملي reflective consciousness في النشوء بالتلازم مع اللغة والواقع الاجتماعي . ويعني ذلك أن الوعي البشري ليس أمرا بيولوجيا فقط لكنه ظاهرة اجتماعية كذلك[١٥] .

ويعرف " pete hardie " الوعي بأنه : السلوك الواعي وهو ذلك السلوك الأكثر قربا للمعدل العام من الناس المدركين لذلك ، ويكون الكيان واعياً عندما يكون بمقدرته الاستدلال منطقياً عن وجودة ، أى ليس متواجداً فحسب . وعلى ذلك فإن النبات ليس كيانا واعيا في حين أن الحيوان كائن واعى مما يعنى أن باستطاعته التنبؤ بسلوكه وبسلوكيات الآخرين . وكل ذلك يصب فى بوتقة القدرة على استخدام لفظ " لو " " if " لو أننى فعلت A سيحدث B وليس Y، ونظراً لأننى أود حدوث Y فلا يحب أن أفعل A وهو ما يطبق على السلوك المستقبلى [١٦] .

ويمكن تصنيف الوعى لنوعين مختلفين : التحدث Speaking والرؤية Seeing فإن تحدث الفرد عن وعيه بشئ ما فهو أمر فى مجال الوعى وأن رأى شيئا ما فهو فى مجال الوعى أيضا ، ولكن تصبح الرؤية فيما بعد فعلا من أفعال الوعى . حيث لن يكون بعد ذلك واعيا فقط لما يراه بل أيضا سيكون واعيا انه واعيا بما يراه (أى مدرك لحالة الإدراك تلك) .

والوعى من المصطلحات شديدة الغموض التى لها استخدامات كثيرة ومتعددة فالفرد يعد واعيا عند تفاعله مع ما يحدث من حوله . ويمكن هنا استخدام مصطلح الوعى كوصف

للأفعال المقصودة المخططة وكأسلوب ثانوى للقول بأن هذا الفرد منتبها awake . لكن هل من الضرورى أن يحظى الفرد بمعرفة ذاتيه حتى يحظى بالوعى ؟

وتُعرّف المعرفة الذاتية بأنها تحقيق المعرفة للحالات العقلية للإنسان فالنظرية العامة فى هذا الشأن أن المعرفة الذاتية ضرورة لازمة للحالات العقلية التى نعتبر عندها الشخص واعيا و يعنى ذلك أنه إذا كان الشخص ينظر إلى كمبيوتر مثلا فيجب أن يدرك أنه يعرف ماهية هذا الشئ ويتفهم أنه ينظر إليه (١٧) .

ويعرف " K. marx " الوعى الاجتماعى : بأنه مجموع الأفكار والنظريات والآراء والمشاعر الاجتماعية والعادات والتقاليد التى توجد لدى الناس والتى تعكس واقعهم الموضوعى أى مجتمعهم الإنسانى والطبيعة (١٨) .

أما " عبد الباسط عبد المعطى " فيرى أن الوعى الإجتماعى هو رؤية الفرد للواقع ، وإدراكه له و تفسيره له فى علاقات فكرية منتظمة وتصوره له وبالتالى فهو ليس معرفة بشئ أو أشياء أو جهلا بشئ أو أشياء إنما هو الصورة الذهنية التى يرسمها الفرد للواقع الموضوعى (١٩) .

ويعرف "Johnlock" الوعى على أنه " إدراك ما يمر فى عقل الإنسان " ثم يقول أنه قد يسمى أيضا الإحساس الداخلى internal sense لأن الوعى هو انعكاس لعقل الإنسان وأفعاله(٢٠)

ويفرق " سمير نعيم " بين مستويين أساسيين للوعى ، ***أولهما*** : الأيديولوجيا كما تبدو فى منتجات الفلسفة والأدب والفن وغيرهم وهى نتاج جماعى . ***وثانيهما*** : وهو السيكولوجيا الاجتماعية أى الوعى الاجتماعى كما نجده لدى الأفراد أنفسهم فى صورة تصورات وإدراكات وقيم (٢١).

ويذهب "Jay Earley" إلى أن هناك سمتان أساسيتان للوعى هما : المشاركة participatory والتأملية Reflexive فالوعى بالمشاركة يعتبر الأرضية لأنه تم عرضه منذ بدايات نشوء المجتمع البشرى . فى حين أن الوعى التأملى والذى يطلق عليه الظاهر فقد ظهر تدريجيا بمرور الوقت .

ويتسم وعى المشاركة بإحساس الانتماء للعالم ، وفى ظله يتعامل الناس ويرتبطوا بالعالم من خلال عواطفهم ، وانفعالاتهم وأجسادهم والحالة الراهنة لهم . كما أنهم يستشعروا الواقع فى سياقه فى شكل حركى ، عضوى أو روحانى أما الوعى التأملى – من ناحية أخرى – فيعطينا القدرة على فهم أنفسنا والعالم خلال التوسط فى التصور والتخيل والأفكار . ويمكننا من خلاله تأمل خبراتنا بالعالم . حيث يمكننا تكوين المفاهيم والتحليل . فالوعى التأملى يسمح بالفهم الموضوعى ويزيد من القدرة على التحكم فى البيئة والتخطيط للمستقبل والوعى التأملى يستخدم مفاهيم شخصية exclusive تعتمد على حدود واضحة أما الوعى بالمشاركة فيلجأ إلى مصطلحات شاملة وعامة تعنى فى سياقها أكثر من معنى محدد(٢٢) .

وتتعدد مصادر تشكيل الوعى الاجتماعى كالتنشئة الاجتماعية ، التعليم ، الثقافة الشعبية والدين وأجهزة الإعلام تلك التى تمثل أداة رئيسية فى تشكيل وعى الطبقات الخاضعة للاستغلال فى المجتمع الطبقى حيث تقوم بتزييفه (٢٣) .

ثالثا : الوعى السياسى :

علم السياسة هو – أساساً – فرع " متخصص ومستقل " من فروع العلوم الاجتماعية يتناول بالدارسة والتحليل مجموعة متداخلة من الظواهر والحقائق والسلوكيات الحياتية ذات العلاقة بالدولة والسلطة والسلوك السياسى والأفكار والقناعات التى يحملها أفراد المجتمع لذلك فإن علم السياسة هو – أولاً – علم الدولة ومؤسساتها وإدارة شؤونها وعلاقاتها الصراعية والتعاونية مع بعضها بعضاً . وعلم السياسة هو – ثانياً – علم السلطة وكيفية ممارستها أو الوصول إليها أو البقاء فيها وعلم السياسة هو – ثالثاً – علم السلوك السياسى للأفراد فى المجتمع والعوامل المؤثرة والمتحكمة فيه وعلم السياسة هو – أخيراً – علم القيم والاقتناعات والأفكار السياسية التى يحملها الأفراد والجماعات والتى تسعى من أجل تحقيق المساواة والحرية والعدالة وبناء المجتمع الفاضل الذى يحقق أكبر قدر من السعادة لأكبر قدر من الأفراد . إن أى جهد ذهنى أو نظرى يحاول استيعاب هذه الظواهر وفهم هذه الحقائق فهماً فلسفياً أو واقعياً أو رسمياً أو سلوكياً يشكل فى جوهرة علم السياسة (٢٤) .

لذا يحظى الوعى السياسى بمعنى واضح وعميق . فمن الخطأ الاعتقاد أن كلمة " سياسات " polities يمكن استنباط معناها من حالة الخداع الذاتى والاعتقاد بأن أخطاء الفرد خافية عن

الآخرين وليس ذلك فقط فمن الخطأ أيضاً النظر للسياسات على أنها مجرد العقل الحاذق الذى يتمتع بالقدرة على حماية الاهتمامات الخاصة للفرد ورفض اهتمامات الآخرين[٢٥] .

ويعد الوعى السياسى ناتج من نواتج تواجد الإنسان داخل دولة : فيس خفياً أن الترابط بين الدولة والقانون يتأتى عنه ترابطا موازيا بين الوعى السياسى والوعى القانونى[٢٦] . ومادامت الطبقات والدولة مستمرة فالعلاقات السياسية قائمة وبالتالى فإن الوعى السياسى يبقى أكثر أنواع الوعى الاجتماعى أهمية وتتحدد الصفات النوعية لهذا النوع من الوعى (تغيره وتطوره ودوره فى المجتمع) من خلال العلاقات السياسية [٢٧] .

ويمكن تعريف الوعى السياسى على أنه أسلوب الرؤية والاهتمام والفعل فى العالم . وهو يسير وفق تعهد بحقوق الإنسان والعدالة وتفهم القوى وعدم المساواة فى النظم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ووفقاً للعلاقات والقيم . فهو يتعلق برفض الظلم والأنظمة والبناءات التى تمارس هذا الظلم ، لكن ليس رفض الأفراد فهو فن احترام الآخر والعمل معه والنظر للآخر على أنه إنسان تميزه قوى اجتماعية ويرتبط فى صراع مستمر من أجل إحراز مكانه محترمه [٢٨] .

ويعد الوعى السياسى بالنسبة لدعاة العدالة الاجتماعية والمجتمع المدنى وسيلة وهدفا فهو كوسيلة يثير التحليل الناقد لديناميكيات القوة على مستويات متعددة . وهو كهدف فالمنوط منه بتطوير الوعى السياسى أن يوفر أساسا لنوع من المشاركة المقبولة والمعلومة للمواطن والتى تلزم لوضع الاهتمامات الهامة فى الحسبان . وعندما يصبح الفرد واعياً سياسيا فإن ذلك يساعد على اختفاء الشكوك الذاتية التى تفرزها التبعية والتمييز،كما يمكن الفرد من إدراك قوته الفردية والترابط مع الآخرين حتى يتسنى له مواجهة المشكلات العامة . وهو ما يطلق عليه "Paulo freire " الوعى الناقد Critical consciousness ويتشابه مع ما يسميه الآخرون الوعى الاجتماعى لكن بمزيد من التأكيد على فهم علاقات القوى[٢٩] .

وتعد الصفات النوعية المميزة للوعى السياسى فى أن الوعى يعكس الاقتصاد بصورة مباشرة ويعكس أيضا المصالح الرئيسية للطبقات .وتعبر الأفكار السياسية عن نفسها فى النظريات السياسية المختلفة وبرامج الأحزاب السياسية ، والبيانات ، وسواها من الوثائق ويلعب الوعى السياسى أكثر الأدوار نشاطا فى المجتمع .لأنه يمثل حلقة الوصل بين الاقتصاد

ومختلف أنواع الوعى الإجتماعى[٣٠] ويمكن تفسير السلوكيات السياسية وخصوصا الانتخابية بشكل سليم من خلال الوعى الاجتماعى ، أما تحليل السلوكيات بالاستناد إلى الطبقات الاقتصادية فإنه لا يزيل كل الغموض الذى يحيط بتلك السلوكيات [٣١].

ويؤثر النمو الهائل للوسائط الاعلامية فى المجتمعات الحديثة تأثيرا لا يمكن تجاهله بحال من الأحوال فالتحليلات التنظيرية والدلائل الامبريقية ، تبين أنه – على مدار الوقت – تتجه الصحف والبرامج التليفزيونية نحو هدف " التسلية " لاعبه بذلك دورا جوهريا وفاعلا فى كيفية تلقى الرأى العام وتعريفه للمشاهد الكبرى للواقع السياسى والاجتماعي المعاش . ويستخدمه القادة للتأثير على الرأى العام كذلك النشطاء والمدافعين عن حقوق الإنسان ففى الصين على سبيل المثال قاموا بنشر قضاياهم على نحو واسع ومؤثر فى ظل وجود التليفزيون.

وفى ظل الأهمية التى لا يمكن تجاهلها للوسائط الاعلامية ، فإن السؤال الذى يفرض نفسه: من الذى يقوم بتشكيل الأخبار ، ووفقا لآية معايير يقوم بذلك ؟ فالعديد يصرون على أن الإعلام متحيز فى عرضة لمادته وفقا لمصالح من يقف ورائه[٣٢].

فعلى سبيل المثال تؤكد هذه القضية تحيز وسائل الإعلام ، فعندما قامت جريدة هولندية بإهانة المواطنين المسلمين بصورة مباشرة ، لم يتحدث أحد مدعين أن ذلك يقع ضمن إطار حرية الإعلام . فى حين أن الدنيا قامت ولم تقعد عند عرض فيلم " شفرة دافنشى Davinci code " حيث اعترض العديد من الساسة والمسئوليين الرسمين على الفيلم وقامت بعض الهيئات باتخاذ إجراءات صارمة ضد الفيلم " حيث تم تصنيفه على أنه لمن فوق ١٨ سنة " كما حظرت مدينة Manila عرض الفيلم فى دور العرض بها [٣٣] .

ويرى الكثير من الباحثين أن التليفزيون يسهم فى الكثير من الأمراض الاجتماعية مثل تضاؤل عدد من يذهبوا للتصويت فى الانتخابات وعدم الاهتمام بالقضايا الكبرى فى الحملات الانتخابية ، وتدهور الأحزاب السياسية وإعادة الانتخاب الأتوماتيكى للمرشحين (عدم ظهور وجوه جديدة لتصدر الوجوه القديمة للصورة الاعلامية) وتزايد استخدام الاستراتيجيات الرمزية والإيقاعية بدلا من تلك التى تضطلع بحل المشكلات أو إجراء التحولات الجوهرية فى النظام السياسى [٣٤] .

وتشير نتائج دراسة قامت بهـا " Diana C. Mutz " عـن برنـامج " Daily Show " تزايد استخدام التليفزيون كمنبر للدعاية الانتخابية بشكل غير مباشر حيث يركز القائمون على الدعاية الانتخابية فى رسم كاريزمة هلامية (حتى بشكل مزيف) للمرشح ففى أمريكا يتم تقديم الأخبار السياسية الآن بشكل نظامى للمشاهد فى البرامج الكوميدية المسائية . وقـد أدى هـذا التطور إلى بزوغ تساؤلات عن مدى إمكانية تأثير الأخبار السياسية التى يتم عرضها فى شكل كوميدى على المشاهدين بدلا من عرضها فى الشكل الاخبارى الجاد. ومـا مـدى مـصداقية المعلومات التى يتم توصيلها فى شكل يجمع بين الأخبار والكوميديا وإلـى أى مـدى تتغيـر معتقدات المشاهدين من خلال المعلومات التى يتم عرضها فى شكل كوميدى ، مقارنة بالشكل الاخبارى التقليدى وقامت – باستخدام التصميم التجريبى – لاختبـار العديـد مـن النمـاذج المحتملة لفهم معالجة المشاهد لتركيب الأخبار والكوميديا .

وقد قامت الدراسة بتقسيم المشاهدين حسب معالجتهم للمعلومات كما يلى :

أ – مُشاهد ناقد : يتلقى المعلومة المتضمنة فى البرنامج الـسياسى أو الكوميـدى ويقـوم بتأملها وتحليلها ومن ثم يقبل بها أو يرفضها بغض النظر عن نوعية البرنامج .

ب – مُشاهد انتقائى : يقبل المعلومة أو يرفضها على أساس نوعية البرنامج . فهـو قـد يرفض المعلومة التى يتم تقديمها فى البرنامج الكوميدى لكنه قد يقبل بنفس المعلومـة إن تـم عرضها فى سياق برنامج اخبارى محترم يعرض – بشكل جاد – للأخبار السياسية .

جـ – مُشاهد سلبى : يتلقى المعلومة ويصدقها دون إجراء معالجة أو تحليل لها والوقوف على مدى صحتها .

د– مُشاهد ينظر ويهتم بالبرنامج لمجرد التسلية وإضاعة الوقت دون أن يزعج نفسه بمدى مصداقية المعلومة المعروضة عليه .

يلاحظ مما سبق أن مشاهد التليفزيون الأمريكى فى القرن الحادى والعشرين يتسم بالقـدرة الكبيرة على النقد فهو لا يثق فى ساسته ، كما يقلق مما يحـدث خلـف كـواليس المـسرح السياسى. وهذا المواطن لا يثق أو يصدق الكثير مما يشاهده فى التليفزيون حتى عند عرضه فى سياق اخبارى واقعى . وفى البيئة الإعلامية المعقدة من الصعوبة بمكان تحديد ماذا يصدق المشاهد وماذا يرفض . لكن ربما يكون الأصعب لنا – كباحثين – فهم كيف يحـدد المـشاهد

تصديق أو عدم تصديق المادة الاعلامية المعروضة عليه . علاوة على ذلك ، فإننا كباحثين لا نحظى بإجماع حيال ما إذا كان الناس يصدقوا الكثير جداً أم القليل جدا مما يقرأوه فى الصحف أو يشاهدوه فى التليفزيون [٣٥] .

رابعا : التوظيف السياسى للصورة .

تأتى خطورة التليفزيون كجهاز إخباري حينما نعلم أن الإنسان العادى يحصل على ٩٨% من معارفه عن طريق حاستى السمع والبصر وتزداد دهشتنا حينما نعلم أن المرء يحصل من هذه النسبة على ٩٠% من معرفته عن طريق الرؤية أو البصر فإذا أضفنا إلى ذلك أن التليفزيون يمكنه أن يصل إلى آلاف الملايين من المشاهدين فى منازلهم عبر الأقمار الصناعية فى آن واحد لاستطعنا أن ندرك دوره الخطير فى نشر الخبر وتشير البحوث والدراسات إلى أن هناك ٨٦% من الجمهور يفضلون الكلمة المسموعة والمرئية كما فى التليفزيون بينما يفضل ٧١% منهم الاستماع إلى الكلمة المذاعة ويفضل ٧٠% منهم الكلمة المقروأة (المكتوبة فى الصحف) . لكن المادة الإخبارية المسموعة والمرئية لها أثرها وفاعليتها حيث تستحوذ على الاهتمام الكامل للمشاهدين . ويمتاز التليفزيون دون وسائل الإعلام بأنه يقدم صوراً حالية تتجاوز بالمشاهد حدود الزمان والمكان ، كما يتخطى حاجز الأمية والخدمة الإخبارية فى التليفزيون فالصورة تعتبر أكثر وأقوى تأثيراً من الكلمة المسموعة أو المطبوعة نظراً لاستخدام أكثر من حاسة فى تلقيها ولها قدرتها على توليد العواطف لدى جماهير المشاهدين ، وهى ميزة أساسية فى أخبار التليفزيون دون كل أخبار الوسائل الأخرى ، وتشر الدراسات والبحوث التطبيقية إلى طلب الجمهور المتزايد للأخبار المصورة خاصة وأن الصورة المتحركة أقدر على التعبير من عشرات الآلاف من الكلمات ، وبدون الصورة لا تكون الأخبار جديرة بالعرض فى التليفزيون وأولى بها أن تذاع فى نشرات الراديو الإخبارية ، حيث تختصر التكاليف بدرجة كبيرة يقدرها البعض بجزء من عشرين من تكاليف أخبار التليفزيون فلا تصبح نشرات الأخبار تليفزيونية إلا عندما يصحبها عرض حى أو مسجل لواقع الأحداث [٣٦] .

لقد أثبتت العديد من الدراسات والبحوث أن التليفزيون كجهاز إخبارى وسيلة أساسية لإكساب المعلومات فى شكل حى أقرب للواقع حيث تقدم نشرات الأخبار التليفزيونية أهم

الأحداث العالمية والوطنية مصورة من مواقعها . وقد تفوق التليفزيون كمصدر للمعرفة بالأنباء والمعلومات على الرغم من حداثة عهده وقد أشار الباحث "ElmerW.lower" الى أن مُشاهد التليفزيون يعيش القصة الخبرية لا يقرأها أو يسمعها فحسب بل ومصدر هام من مصادر المعرفة بالأنباء والمعلومات للمشاهدين يبعث على التصديق أكثر من الوسائل المسموعة أو المكتوبة كما أنه يوحى بالموضوعية فذكر ٤٤% من جمهور عينه دراسة ميدانية أن التليفزيون هو أوثق مصادر الأنباء وانه ليس ثمة وسيلة إخبارية أخرى تصل إلى مستواه.

وتشير دراسة "لهيئة روبر" للبحوث إلى أن ثلثى الأمريكيين تقريباً يحصلون على أنبائهم ومعلوماتهم من التليفزيون. كما تشير دراسة أجراها "IBA" أن هناك ستة أشخاص من بين كل عشرة أشخاص فى بريطانيا يعتبرون التليفزيون مصدرهم الأول فى استقاء الأنباء والمعلومات وفى اليابان اكتشف معهد الرأى العام التابع لهيئة الإذاعة اليابانية أن كثيرا من اليابانيين صاروا يعتبرون التليفزيون الياباني NHK جزاءا لا يتجزأ من حياتهم اليومية ، كما أن هناك ثلاثة أشخاص من بين كل عشرة أشخاص يعتبرون التليفزيون أهم مقومات الحياة اليومية .

أما فى دول العالم الثالث ومنها مصر فقد أثبتت الدراسات أن التليفزيون يزيد من معرفة ٦٦% من مواطنى الدول النامية وأن التليفزيون يعتبر أهم مصادر المعرفة بالأخبار ، وأن هناك ستة من بين كل عشرة أشخاص يحرصون على متابعة نشرات الأخبار التليفزيونية بينما يقرر أحد رجالات الفكر والثقافة فى دراسة حول ذلك أن ٨٠% من الشعب المصرى يتلقى ثقافته من التليفزيون ، ذلك لأنه يخاطب مستويات الشعب المختلفة من أستاذ الجامعة الى رجل الشارع العامي مؤكداً ذلك بقوله أن هناك ٨٠% من الشعب أميون وبالتالى يعتبر ما يقدمه التليفزيون لهم ثقافة مفيدة حتى الأخبار الداخلية والخارجية تعرف رجل الشارع بتراثه وبيئته وبالعالم الخارجى [٣٧] .

تعد الصور كذلك أفضل من الكلمات فى عمليات الدعاية والحروب النفسية ، وعلينا أن نتذكر أحداثا قريبة مثل صور هجوم الطائرات على برجى مركز التجارة العالمى فى نيويورك فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، وصور سقوط تمثال صدام حسين فى قلب بغداد ، وصور تعذب

العراقيين فى سجن أبى غريب ، وصورة قتل الجنود الاسرائيلين للطفل الفلسطينى البرئ محمد الدرة وهو بين ذراعى والده ، وصور لوحات مثل " الموناليزا" لدافنشى " والجيرنيكا" لبيكاسو و" الصرخة" لمونش ، وغيرها من الصور التى فاق تأثيرها فى الوعى البشرى ملايين الكلمات. (٣٨)

وإزاء المصداقية التى حصل عليها الإعلام الأمريكى والغربى منذ الساعات الأولى للازمة (العدوان على الكويت) تم توظيف ذلك سياسياً حيث أُستخدم الإعلام لتحقيق هدف هذه المرحلة وهذا أمر ضرورى حتى إذا كانت المعلومات التى سيعتمد عليها معلومات غير صحيحة وغير صادقة ، وهذا الأمر يمكن معالجته فيما بعد لاستعادة مصداقية الوسائل التى تم استخدامها وذلك خلال الفترة التى تعقب انتهاء الحدث ديناميكيا .

وعلى هذا كثفت وسائل الإعلام – تدريجيا – من الأنباء التى تؤكد المخاوف الخاصة باحتمالات غزو عسكرى عراقى جديد للأراضى السعودية وبدأت هذه الأنباء بخبر صغير نشرته جريدة "الهيرالد تريبيون" يقول أن " هناك حشوداً عراقية جديدة تتجمع فى المنطقة المحايدة بين العراق والسعودية وعلى الفور كانت جميع الصحف العربية الصادرة على امتداد يومى ٣ ،١٩٩٠/٨/٤ تنشر هذا الخبر ومتوسعة فيه مستغلة حالة الذعر الشديد التى أحدثها الغزو العراقى للكويت ، وجريا على عادتها فى نشر الأخبار التى ترد فى كبريات الصحف العالمية دون تدقيق كاف اعتمادا على ما لهذه الجرائد من مصداقية عالية وشهرة(٣٩) .

ومع بداية النصف الثانى من يوم ١٩٩٠/٨/٣ إحتل هذا الخبر وتطوراته شاشات الإرسال التليفزيونى للمحطات التى ولدت مع الغزو مثل محطة (سى. إن .إن) ونقلت عنها محطات التليفزيون الأخرى وأصبح الخبر يقينا فى عقل المواطن العربى بحلول يوم ١٩٩٠/٨/٤ ، وأخذت احتمالات العمل العسكرى العراقى المتوقع ما بين لحظة وأخرى تتردد بقوة ، وكان كل ذلك يصب فى قنوات جهاز صنع القرار السعودى ، والذى كان يتعرض لضغوط داخلية شديدة تمنعه من مجرد التفكير فى طلب المساندة الأمريكية ، ولكن مع توالى أخبار الحشود العراقية على جهاز صنع القرار السعودى ومن أعلى المستويات التى تعتمد على الأقمار الصناعية كمصدر للمعلومات ، بدأت المسألة تصبح شكلا من أشكال إما البقاء وإما الموت وكان ذلك عين ما تريده الإدارة الأمريكية وحققته لها وسائل الأعلام .

وبدأت فى أعقاب ذلك المرحلة الثانية من مراحل العمل الإعلامى للوصول الى قرار سعودى بطلب المساندة الأمريكية وشارك فى هذه المرحلة الرئيس الأمريكى نفسه وكذلك وزير الدفاع الأمريكى ديك تشينى ومعهم المتحدث الرسمى للبيت الأبيض والمتحدث الرسمى باسم البنتاجون وإستغلت هذه الجهات عدة معطيات إستراتجية بالغة الخطورة لتحقيق أهدافهم فقد بثت شبكات التليفزيون الأمريكية عدة تقارير نقلا عن مصادر " رفيعة المستوى " وذكرت فيها أن العراق ينوى مهاجمة السعودية على امتداد يوم ٥ ،٦ أغسطس ١٩٩٠، وفى أثناء زيارة ديك تشينى للسعودية ٦ أغسطس تولى شوارتسكوف تعميق المخاوف السعودية من غزو السعودية حيث قال " أننا نعتقد أن صدام حسين يمكن أن يهاجم السعودية فى ظرف ٤٨ ساعة (٤٠) .

وفى ظل إصرار وحرص وسائل الأعلام على مضاعفة حجم الخسائر التى يمكن أن تمنى بها قوات التحالف إذا أقدمت على شن الحرب البرية لتحرير الكويت – والذى وصل الى مطالبة الكونجرس بمنع شن هذه الحرب – كان الجميع يتوقعون أن تمتلئ أسرة المستشفيات الميدانية والمستشفيات العائمة والتى وصل عددها إلى أكثر من ١٨٣٣٠سريراً جاهزة للعمل فورا و ٧٢٥٠سريراً إحتياطياً ولكن لم يستخدم سوى ٢٥٠ سريراً فقط من هذه الأسرة كلها ولم تفقد القوات المتحالفة سوى أعداد يسيرة جداً من القتلى أو الجرحى اتضح أن الهدف الاستراتجي من وراء ذلك العمل الإعلامى الناجح هو إعطاء المبرر الكافى لكل هذه الحشود لكى لا تكون هناك أى احتمالات للفشل ولكى يكون الانتصار مدويا ويمكن من خلاله معالجة النفسية الأمريكية التى أرهقها الإحساس بالهزيمة فى حرب فيتنام وذلك دون المخاطرة بأرواح الأفراد العسكريين الأمريكيين .

وبسبب حرص الإدارة الأمريكية على الدقة فى توزيع الأدوار " وبصفة خاصة الدور الإعلامى " كان من الصعب على أحد أن يكتشف الأهداف الحقيقية التى كان كل جهاز فى الإدارة الأمريكية يسعى لتحقيقها بتحركاته وكان الجميع على ثقة أن الأسلحة الكيماوية العراقية ستبيد قوات التحالف .وأن الموانع الهندسية العراقية سوف تعرقل هجومه وأن المدفعية العراقية ستفرق صفوف القوات المهاجمة . ولكن بعد أن سار العمل العسكرى لقوات التحالف كما كان مخططاً له تماما إتضح أن الولايات المتحدة كانت تسعى لتحقيق " انتصار

عسكرى مذهل " على العراق بغض النظر عن حجم الخسائر التى يتعرض لهـا العـراق أو شعبه وبغض النظر عما يحدث للمنطقة بعد ذلك من تغيرات عميقة وخطيرة تعصف بأمنهـا وسعيا لحماية الكثير من مصادر العالم النفطية " ومما لا شك فيه أن الفضل فى هذا النجـاح يرجع فى جزء كبير منه الى الدور الذى لعبه الإعلام وحرصه وهو يلعب ذلك الدور على ألا يكشف عن العلاقات التى تربط بين دوائر التخطيط الاستراتيجي [٤١] .

خامسا : نتائج الدراسة الميدانية :

بتحليل نتائج الدراسة الميدانية أمكن استخلاص الآتى :

١ – إن جميع أفراد العينة يفضلون قضاء بعض الوقت أمام التليفزيـون بـصورة يوميـة ، خاصة بعض القنوات والبرامج ربما يرجع ذلك من بين أهم أسبابه هو الاعتماد على تأثر ثقافة الصورة من مواقع الأحداث مباشرة خاصة قنوات : النيل للأخبـار – الجزيـرة – العربية ...

٢ – إن أغلب أفراد العينة يتلقون معظم معلوماتهم المحلية والعالمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من مشاهدتهم للبرامج التليفزيونية وتأتى نشرات الأخبار والتقارير الإخبارية فى مقدمة ذلك .

٣ – إن مشاهد العنف السياسى بدءا من الاحتلال الأمريكى للعراق وأفغانـستان والاحـتلال الاسرائيلى لفلسطين والأراضى العربية والاضطرابات فى السودان والـصومال ولبنـان وغيرها من بلدان الوطن العربى أفرز نوعا من الوعى بدرجة أو بـأخرى لـدى جميـع طبقات الشعب .

٤ – إن ما نعيشه من مشكلات كالبطالة والإدمان والعنف وغيرها مصدره عوامـل داخليـة وأخرى خارجية وهذا يعد الدافع الأساسى لإثارة فضول الناس لمعرفة م يجرى فى العـالم من حولنا . وهناك وسائل متعددة توفر درجة من الوعى (كالكتب والجرائـد والانترنـت وغيرها) إلا أن التليفزيون هو أسهلها وأيسرها ولا يحتاج إلى مجهود مادى أو بدنى (بل يجلس الإنسان في بيته مسترخى بعد عناء يوم عمل) فى ظل توفر العديد من القنـوات الفضائية مقارنة بالوسائل الأخرى (كالكتب والسينما وغيرها) .

٥ – هناك عدد كبير من الأفراد يشاهدوا التليفزيون السئ ويستهلكوا الكثير من الوقت فى مشاهده بعض الإعلام التافه حتى مع علمنا بسوئه وهذا يحتاج مزيد من البحث .

وبتحليل ما جاء على لسان حالات الدراسة الميدانية وجد أن الصورة التليفزيونية لها تأثير كبير على الأفراد سواء من خلال تثبيت المعلومه أو شرحها وترك المجال للتخيل والتفسير والتأويل (كيف حدث ذلك ولماذا حدث) وماهى التداعيات والسيناريوهات المستقبلية وما هى الجهات أو الأفراد الذين يقفون خلف هذا الحدث وما هو الهدف ؟

وجاءت نشرات الأخبار فى مقدمة البرامج التى يشاهدها الشباب يليها البرامج الحوارية التى تناقش قضايا ملحة خاصة بالنسبة لهم يليها مباريات كرة القدم والأغانى والأفلام . كما جاءت قناة النيل للأخبار فى المرتبة الأولى من حيث المشاهدة تليها قناة الجزيرة ، قناة العربية ، قناة المنار .. الخ . وتعددت المشاهد وتباينت لدى حالات الدراسة الميدانية وكانت المشاهد الأكثر دموية هى الأكثر حضورا حيث جاء القتل الاسرائيلى للشعب الفلسطينى الأعزل من أطفال ونساء وشيوخ بصورة شبه يومية ومتكررة بنسبة ٨٠% من حالات الدراسة الميدانية وجاءت مشاهد القتل والاغتيالات فى العراق بنسبة ٧٠ % ومثلت مشاهد الأحداث المحلية نسبة ٥٠% .

وتشير حالات الدراسة الميدانية إلى ذلك وها هى حالة منهم تقول : أن صورة الطفل " محمد الدره" ويد الغدر للجنود الاسرائليين وهم يوجهون بنادقهم إلى صدره وصدر والده وهما يحتميان بصخرة لا يمكن وصفها بالكلمات والصورة توضح مدى دموية العدو الصهيونى، وتذهب حالة أخرى إلى أن الكلمات تعجز عن ما يقوم به المحتل الاسرائيلى الغاصب من اغتيالات ومذابح لم تترك أخضر ولا يابس حتي الشيخ القعيد " أحمد ياسين " رحمه الله ، لم يسلم من يد الغدر الاسرائيليى .

وتشير حالة أخري في السياق نفسه للمشاهد التي عرضها الفيلم الاسرئيلي (وحدة شاكيد) بقيادة " بنيامين بن اليعازر" ، والذي يعرض لمشاهد تعذيب وقتل ٢٥٠ أسير مصري في حرب ١٩٦٧ متجاوزه كل شعور إنساني وأخلاقي ومواثيق وأعراف دوليه .

وها هي حالة أخرى تشير إلي ما حدث من استخدام أسلحة محرمه ضد المقاومة اللبنانية ممثلة في حزب الله شارك فيها الأمريكان والقوي الغربية الأخرى بجانب اسرائيل ضد لبنان وشعبه وصور الدمار التي تعبر عن كمية الحقد علي الإسلام والمسلمين .

وتشير حالة أخرى إلى الصور التى نشرتها الصحف الدنماركية والتى أساءت إلى سيدنا رسول الله " محمد" صلى الله عليه وسلم وإلى مشاعر المسلمين فى شتى بقاع الأرض .

وهناك عديد من الحالات أشارت إلى كم الحشود الأمريكية والغربية وحاملات الطائرات والدبابات وأطنان من القنابل العنقودية وغيرها لاحتلال أفغانستان والعراق ودعم الاضطرابات وإشعالها فى لبنان والسودان والصومال وكلها صور تحكى لنا وتعبر عن مدى التفوق الأمريكى والغربى لاغافة من يعترض إلا أن حالات الدراسة قالت بأنها صور مزيفة وأقاموا الدليل على ذلك بثبات حزب الله فى لبنان أمام آلة الحرب الإسرائيلية وغيرها .

كما أشارت حالات أخرى الى صور إعدام الرئيس العراقى " صدام حسين" فى يوم عيد المسلمين عيد الأضحى والتنكيل به وأسلوب تصويره بالفيديو والمشاهد التى أثارت المسلمين والأمة العربية وتوقيت عرضها كل هذه صور ومشاهد باقية فى الذاكرة لعلها تعمل على إفاقة الأمة من نومها .

وتشير حالة أخرى إلى صور قتل المسلمين أثناء تأديتهم الصلاة فى المسجد الأقصى من عدد من اليهود المتطرفين . حينما أفرغ أحدهم بندقيته الآلية وهذه مشاهد لا تحتاج لكلمات ولكنها تفرض علينا النهوض للدفاع ورد المعتدى .

وتشير حالة أخرى إلى المئات من القتلى العراقيين يوميا فى مشاهد تدمى القلب قبل العين وما يقوم به جيش الاحتلال من إثارة الفتن والمشكلات الواحدة تلو الأخرى حتى يتمزق العراق وأهله ، كى يستأثر بثروته النفطية وخيراته . وهذه مشاهد تراها فى جميع القنوات المحلية والفضائية وشبكات النت وغيرها .

وتشير حالات أخرى إلى صورة "صفر" المونديال ٢٠١٠ وغيرها من "صفر" فرص العمل (البطالة) وصور أطفال الشوارع وغيرها من الظواهر والصور المليئة بالمعانى .

وتشير حالة أخرى إلى أن صور أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ استطاعت أمريكا بسيطرتها على وسائل الإعلام وصناعته عالميا أن توظفها في تصوير العرب ومنطقة الشرق

الأوسط بالارهابين واستطاعت استغلال هذه الصور لفرض سطرتها وهيمنها على مقـدرات المنطقة وثرواتها بدعوى محاربه الإرهاب وكذلك التأثير على الدول الأوربية والحصول على تأيدها وموافقتها على فرض سيطرتها على دول الشرق الأوسط وتوظيف ذلك لصالحها .

وأشارت حالات أخرى إلى صور العراقيين فى سجن أبو غريب وجوانتانمو وخطف وقتل السفير المصرى فى العراق " إيهاب الشريف" وحادث (العبارة السلام ٩٨، قطار الـصعيد ، حريق مسرح بنى سويف) وغيرها من المشاهد التى ذكرتها الحالات وكلها تثير فـى الـنفس تساؤلات عديدة لدى الخاصة والعامة من الناس .

والملاحظ على ما سبق أن الصور تعد من أهم وسائل التعبير عن الآراء الأفكار والمعانى التى تدور فى أذهان الناس (بدون ترجمة فهى لغة عالمية) لأنها تعبر عن الحـدث والخبـر بسهولة ويسر وتجعله يدوم في ذاكرة الناس وهناك العديد من المشاهد ذكرتها حالات الدراسة الميدانية ، فالإنسان المعاصر كما قال " بول فيرليو" بات قادرا ليس علـى مكالمـة الآخـر ورؤيته عن بعد فحسب ، بل وأيضا الإحساس به عن بعد بفضل إمكـان إدراكـه بواسـطة الموجات الكهرومغناطيسية للالكترونيات وعالم الصورة .

والصورة وثقافتها موجودة فى كل مكان لا تكف عن التدفق والحضور فى اليقظة أو حتى فى الخيال والإنسان يحتفظ بداخله بمشاهد وصور تحمل معانى بالنسبة له عن مراحل حياتـه أثناء الطفولة والصبا وغيرها أما الكلمات فربما ينساها الإنسان ، ويؤكد ذلك نتـائج بعـض الدراسات التى تشير إلى أن ٩٠% من مدخلاتنا الحسية هى مدخلات بصرية ، وفـى هـذا الصدد يشير عالم التربية " جيروم برونر" إلى أن الناس يتذكرون ١٠ % فقط مما يسمعونه ، ٣٠% فقط مما يقرأونه ، فى حين يصل ما يتذكرونه من بين ما يرونه أو يقومون بـه إلـى ٨٠% وعندما يتعلم الناس سواء فى البيت ، أو فى المدرسة ، أو مواقع العمل ، أو غيرهـا ، كيف يستخدمون الكمبيوتر لمعالجة الكلمات أو الصور (برامج الفوتوشوب مـثلا) ، فـإنهم يتحولون من المشاهدة السلبية إلى الأداء الايجابي ، وعندما يحـدث هـذا فـإن العوائـق أو الحواجز الموجودة بين الصور والكلمات تزول وتصبح كلتاهما شكلا من أشـكال التخاطـب المتسمة بالقوة وسهولة التذكر .وهكذا نجد أن للصورة حضورا أساسيا فـى عمليـة الـوعى وتشكيله ومنها تشتق المعانى وأنها نتاج طبيعى لتفسير والتعبير عن مدلولات الصور وسياقها.

أهم التوصيات :

١ – العمل على زيادة وعى المجتمع المصرى (سلطة – مؤسسات – أفراد) بأهميـــة ودور وسائل الإعلام خاصة الهادف منها والعمل على تنمية القدرة على الانتقاء .

٢ – التأكيد على أهمية الوسائل الأخرى منها : الكلمة المطبوعـــة ، والبـــصريات ، المـــواد السمعية ، الفيديو ، المحاكاة ، الوسائط الاعلامية المتعددة ، الوسائط الاعلامية التفاعلية . وذلك لتحقق توجهات الإصلاح .

٣ – التأكيد على أهمية دور الأسرة فى التنشئة الاجتماعية لأبنائها وتنمية الـــوازع الـــدينى ، حتى يستطيع الأفراد تحديد ما يتفق وقيمنا وعاداتنا . فى ظل انتشار الفضائيات .

المراجع :

1- Steve Hoenisch , using French social Thought for Media criticism , Last updated on November, 2005 available at www. Criticism.com/

2- Arunas peskaitis Term " Sect" as aphenomenon of arepressive social consciousness , apaper presented at the CESNUR 2003 international conference , Vilnius, Lithuania , April 9 -12 , 2003 .

٣ – شاكر عبد الحميد ، عصر الصورة : السلبيات والايجابيات ، سلسلة عالم المعرفة ع ٣١١ ، الكويت ، يناير ، ٢٠٠٥ ، ص ٧ .

٤ – آمال كمال ، السينما المصرية وثقافة المخدرات : دراسة تحليلية لعينة من الأفلام الروائية ١٩٩٨/٢٠٠٠ ، المجلة القومية للتعاطى والادمان ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، يوليو ، ٢٠٠٥ ، ص ٩٠ .

٥ – شاكر عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

٦ – فرج حلمى الشناوى ، نشرات الأخبار فى التليفزيون المصرى والتنشئة السياسية للمراهقين : دراسة تطبيقية ، مجلة الدراسات الاعلامية ، المركز العربى للدراسات الاعلامية ، القاهرة ، سبتمبر ، ١٩٩٢ ، ص ٨٩ .

٧ – شاكر عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ص ٩ – ١٠ .

8 - U.S. Parents see media , not sex , as Top warry : study , 2007 , Available at : http:// i.today. reuters. Com / favico . ico .

٩ – شاكر عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ٨ .

١٠ – المرجع السابق ، ص ص ١٨ – ١٩ .

11 - Shato Iyengar , The Accessibility bias in politics : Television News and public opinion , 2007 , availableat : www. Questia./ cm / about Questia / about .htm/

12 - Mike Hogue , Media selection , Mississippi state university , 2007 , available at : www 2 . misstate , eu/ mbh8/ mediapaper. Htm

١٣ – مارى دين ، الأطفال والادمان التليفزيونى ، ترجمة : عبد الفتاح الصبحى ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، يوليو ، ١٩٩٩ ، ص ١٥ .

14 - Rom Harre , social construction and consciousness, 2005 , pp.1 - 2 , available at : www massey . ac. N2 l alock/ virtual / max .htm

15 - Harper Collins , the social Dimension of consciousness , 2002 , available at : www . uboeschenstein . ch /Texte / capracon 45. htmi .
16 - pete Hardie , definition of conseiousness , January 31 , 2005 , p.2 , www . c2 /com / cgi / wiki? Definition of conscionsness .
17 - Joe Greenwald , Ancint Greece and you , consciousness , 2000 , ablemedia . com / ctcweb / show case / green waldgreece 10. htm /
١٨ – سمير نعيم أحمد ، النظرية فى علم الاجتماع ، دار المعارف ، ١٩٨٢ ، ص ١٧٩ .
١٩ – عبد الباسط عبد المعطى ، الوعى التنموى العربى : ممارسة بحثيـــة ، دار الموقـــف العربى ، ١٩٨٣ ، ص ١٤ .
20 - Joe Green wald , op.cit . P.I
٢١ – سمير نعيم أحمد ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .
22 - Jay Earley , The social Evolution of consciousness, www. Earley .org/ trans formation / social - evolution- of - consciousness . htm .
٢٣– عبد الباسط عبد المعطى ، الاعلام وتزييف الوعى الاجتماعى ، دار الثقافة الجديـــدة ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٣٤ .
٢٤ – عبد الخالق عبدالله ، هل انتهى علم السياسة حقا ، مجلة العلوم الاجتماعية ، الكويت ، خريف ١٩٩٩ ، ص ٨ .
25 - Chogyam Trungpa , Political Consciousnss , October, 2004 , Available at . Makepovertyhistory. Org /http://www .
26 - Sergiy shevsov , Politicl and Law Consciousness and The , 2005 , Available at , http://wwwconemporary state . Kiev.ua Sapienti. / newvision / sergiy – shevtsov. htm .
٢٧ – أ . ك أوليدوف ، الوعي الاجتماعي، ترجمة ميشيل كيلو ، دار ابن خلدون ، ط٢ ، ١٩٨٢، ص٧٩.
28 - Valerie Miller, political Consciousness : Aperpetual quest , May , 2002 , Available at , www. Ngorc. Org. pk/ journal jun 2002 / vm.htm
29 - Valerie Miller, op. cit .
٣٠ – أ . ك . أوليدوف ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .
٣١ – شوميلبيه – جاندرو وكورفوازييه ، مدخل إلي علم الاجتماع السياسي ، ترجمة : إسماعيل الغزال ، المؤسسه الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٥٠ .

32 -stanley Rothman , The media , The Experts , and public opinion , on Handbook : The Mass Media in Liberal Democratic societies , 2007 , www. Questia . com / pm.9
33 - political Ads, January 29 th, 2007 , www. W3c. org/TR
34 - Shanto Iyengar, op.cit.
35 - Diana C. Mutz , comedy or News? Viewer processing of political News from the daily show, 2007 , www. Sas . upenn , edu . pdf .
٣٦ – فرج حلمى الشناوى ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .
٣٧ – المرجع السابق ، ص ٩٠ .
٣٨ – شاكر عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ١٣ .
٣٩ – مراد ابراهيم الدسوقى ، المناورة الاعلامية الأمريكية أثناء أزمة الخليج ، مجلة الدراسات الاعلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .
٤٠ – المرجع السابق ، ٣٩ .
راجع فى هذا الموضوع : محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج أوهام القوة والنصر ، مركز الأهرام للترجمة .
٤١ – مراد ابراهيم الدسوقى ، مرجع سابق ، ص ص ٤٢ – ٤٣ .